مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

المحفوظات في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية

الدكتور عبدالرحمن يتيم الفضلي
مدرس في قسم التفسير والحديث، بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت

ملخص البحث

أنزل اللهُ على نبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم كتابًا مباركًا محفوظًا من الزيادة والنقص والتبديل، وأخبر تعالى عبادَه في كتابه العزيز أنه قد خَلَقَ مخلوقاتٍ وحفظها قَدَرًا كحفظه سبحانه للسماء، والأعمال، والإنسان. وأَمَرَ الله سبحانه عبادَه في كتابه الكريم وعلى لسانِ نبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم بحفظ أمورٍ على سبيل الوجوب كحفظ حدودِه سبحانه، وحفظ الصلاة، والأيمان، والفروج، وحفظ غَيبةِ الزوج.

وهذا بعد ذِكْر أهمية الموضوع، وأسباب اختيارِه، والهدف منه، والدراسات السابقة، وعرض خطة البحث، ومنهج الباحث فيها، وشرح ألفاظ العنوان لغة واصطلاحًا، ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

المقدمة

الحمد لله، وصلاةً وسلامًا على سيدنا رسول الله وبعد:

إن مما لا يشـك فيه أن القرآن الكريم كتاب الأمة الخالد الذي لا يملُّ منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، بل هو البكر في معانيه، والجديد في مضـامينه، ومن ثم لا يزال الباحثون يؤمونه في كل زمان ومكان، ينهلون من معينه الصـافي، ويحيون القلوب بمبادئه وقيمه الراسخة.

ومن ثم رأيت أن أقف برحلي مع كتاب الله عز وجل، وأن أستظل بظلاله الوارفة؛ وذلك بالبحث في موضوع أحسب أنه لم يتطرق إليه أحد من الباحثين قبلي، ألا وهو موضوع (المحفوظات في القرآن الكريم دراسة موضوعية)، وأعني بالمحفوظات: كل ما أخبر القرآن الكريم عنه أن الله عز وجل قد حفظه بنفسه أو أمرنا بحفظه.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى أمور كثيرة، لعل أهمها:

١- بيان ما يجب على المسلم حفظه شرعًا.

٢- إظهار عظمة الله وقدرته في حفظ خلقه وكتابه.

٣- التوفيق بين المحفوظات قدرًا والمحفوظات شرعًا.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا الموضـوع من أهمية الفكرة التي يتناولها، وهي فكرة المحفوظات، حيث يبرز هذه المحفوظات ويجمعها في سياج واحد لبيان أهميتها، ودور المسلمين في المحافظة عليها، أو التفكر في خلق الله الحافظ لها.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

منهجية البحث:

تجدر الإشارة إلى أن هذا البحث سوف يسير على المنهج الموضوعي، حيث سيجمع الباحث النصوص الواردة في موضوع البحث، وما يتعلق بها ثم يحللها، ويدرسها بعناية، مستنبطًا منها المعاني المستفادة، وسيكون ذلك وفق الخطوات الآتية:

- جمع النصوص ذات الصلة بموضوع البحث.
- العناية بأسرار أسلوب القرآن الكريم وإبراز أساليبه البلاغية.
- مراعاة كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، مع توثيق اسم السورة، ورقم الآية نهاية النص القرآني.
- اعتماد رواية الصحيحين أصولًا، بذِكر اسم الكتاب والراوي، وتحديد الكتاب والباب ورقم الحديث، كما تُخرَّج رواية غير الصحيحين ببيان حُكْم أئمة الحديث عليها أصولًا.
- عزو النقول وبيان مصادرها.
- ذِكر اسم مؤلِّف الكتاب في أول موضع يُذكَر في البحث، إلاّ إذا كان هناك تشابه في أسماء المؤلَّفات فإني أذكر اسم مؤلِّفها في كل موضعٍ في البحث.
- توثيق المعاني الاصطلاحية من كتب المصطلحات الخاصة بها.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

الدراسات السابقة:

لـــــم يتناول أحد من الباحثين قبلي -فيما أعلم- جمع المحفوظات في القرآن الكريم شرعًا أو قدرًا في بحث مستقل وإنما كانت هناك دراسات عن موضوعات معينة كالحديث عن حفظ العمر، وحفظ العلم، وحفظ الأمن، ومن هذه الدراسات:

١- حفظ العمر، المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، الناشر: دار البشائر الإسلامية.

٢- الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ، المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

٣- التحاكم إلى الكتاب والسـنة في حفظ الأمن وحماية الأرواح، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشـر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف المملكة العربية السعودية.

٤- احفظ الله يحفظك، للدكتور عائض بن عبد الله القرني الناشر: دار ابن حزم.

ومن خلال ما مرَّ من عناوين للموضوعات التي كُتِبت في موضوع الحفظ يتضح: أن الفرق بين ما يُريد الباحث كتابته وتناوله وبين ما سبق ذِكْرُهُ: أن تناول الباحث لموضوع الحفظ هو تناول تفسيري، وذلك لإبراز ما تحتويه وتحمله الآيات الكريمة التي تكلمت عن المحفوظات مِن معانٍ عظيمة في بيان المحفوظات قدرًا وذلك لمعرفة فضـل الله علينا، ومعرفة المحفوظات شـرعًا وذلك لمعرفة ما المطلوب مناكي نفعله، وما المنهي عنه كي نجتنبه، وذلك مِن خلال الهدايات المذكورة في الكتاب والسُّـــنّة، فالمكتوب في هذا البحث أوسع وأشمل مما ذُكِر مِن عناوين.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: وفيها: أهمية الموضوع، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث، وبيان منهج الباحث فيه.

التمهيد وفيه: بيان مصطلحات عنوان البحث لغة واصطلاحًا، وبيان المقصود منه.

المبحث الأول: المحفوظات قَدَرًا، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حفظ القرآن الكريم.

المطلب الثاني: حفظ السماء.

المطلب الثالث: حفظ الأعمال.

المطلب الرابع: حفظ الإنسان.

المبحث الثاني: المحفوظات شَرْعًا، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: حفظ حدود الله.

المطلب الثاني: حفظ الصلاة.

المطلب الثالث: حفظ الأيمان.

المطلب الرابع: حفظ الفروج.

المطلب الخامس: حفظ غَيبة الزوج.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

التمهيد:

يجدر بنا قبل أن ندلف إلى موضوع البحث ومَبْحَثَيْه أن نقف مَلِيًّا وقفتين الأولى مع عنوانه لتبيان معناه وحدوده والمراد منه فنقول:

المحفوظات: جمع "محفوظ" وكلمة "محفوظ" اسم مفعول من الفعل الثلاثي (حَفِظَ).

والناظر في معاجم العربية القديمة والحديثة يلاحظ ثراءً لافتًا لهذه المادة، فهي مادة مُتْرَعَةٌ بالمعاني، كثيرةُ الاستعمالات في لغتنا العربية، ولنستعرض الآن بعضًا مما أوردته معاجم العربية حول معاني هذه المادة باختصار:

يقول ابن فارس رحمه الله: "الحاء والفاء والظاء أصلٌ واحد يدلُّ على مراعاةِ الشيء. يقال حَفِظْتُ الشيءَ حِفْظًا. والغَضَبُ: الحفيظة؛ وذلك أنّ تلك الحالَ تدعو إلى مراعاة الشيء. يقال للغَضَب: الإحفاظ؛ يقال: أحفَظَنِي، أي: أغضَبَنِي. والتحفظ: قلّة الغَفلة. والحِفاظ: المحافَظة على الأمور"(١).

فابن فارس رحمه الله يتحدث هنا عن أصل هذه المادة والمعنى العام الذي تندرج تحته كل المعاني المستعملة لهذه المادة، وهو (مراعاة الشيء).

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة: ح ف ظ (٨٧/٢)

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

لكن يُخيَّل إليَّ أن تعليله لتسمية الغضب بالحفيظة؛ لأن تلك الحال تدعو إلى مراعاة الشيء، كان بعيدًا، ولو قال إن الغضب سُمِّيَ بالحفيظة؛ لأن الغاضب تثور مشاعره وتنتشر ولا تُحْفَظ، فيكون من تسمية الشيء بضده لكان أقرب.

وقال الراغب رحمه الله: الحِفْظ يقال تارة لهيئة النفس التي بها يثبت ما يؤدي إليه الفهم، وتارة لضبط الشيء في النفس، ويضادّه النسيان، وتارة لاستعمال تلك القوة، فيقال: حَفِظْتُ كذا حِفْظًا، ثم يستعمل في كلّ تفقّد وتعهّد ورعاية(١).

وأحصى ابن منظور رحمه الله جُلَّ المعاني التي تدل عليها هذه المادة فبلغت قرابة خمسة عشر معنى، وهي(٢): الحفظ ضد النسيان، والحفظ التعاهد، والحفظ بمعنى: الرعاية، والحافظ المستيقظ الذي لا تنام عينه، والحافظ: الحارس الأمين، والحافظ: المستظهر الذي لا ينسى، والحَفَظَة: نوع من الملائكة، والتحفُّظ: قلَّة الغَفْلة في الأُمور، الاحْتِفاظُ : خصوص الحِفْظ أي: حفظ من نوع خاص، والمُحافَظة: المواظَبة على الأمر ومنه حفظ الصلاة، والمُحافظة: الوَفاء بالعَقْد والتمسُّكُ بالودّ، والمحافظة: المراقبة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم "احفظ الله"، والمُحافظة والحِفاظ: الذَّبُّ عن المحارِم، والحَفِيظةُ: الغَضَبُ، المحافظة الوَفاء بالعَقْد والتمسُّكُ بالودّ.

هذه هي أهم المعاني التي تدل عليها مادة (حفظ) في معاجمنا العربية، وتجدر الإشارة إلى أننا في هذا البحث سوف نستخدم من هذه المعاني المتعددة ثلاثة فقط، وهي:

---

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب مادة: ح ف ظ (ص / ٢٤٤).
(٢) لسان العرب، لابن منظور، مادة: ح ف ظ (٧ / ٤٤١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

١- الحفظ بمعنى: العناية والحِفظ، ويندرج تحت هذا المعنى: حفظ القرآن، وحفظ السماء، وحفظ الأعمال، وحفظ الإنسان، وحفظ غَيبة الزوج، وحفظ الفروج.

٢- الحفظ بمعنى: المواظبة على الأمر، ويندرج تحت هذا المعنى: حفظ الصلاة.

٣- الحفظ بمعنى: قِلَّة الغفلة في الأمور، ويندرج تحت هذا المعنى: حفظ الأيمان، حفظ حدود الله.

الوقفة الثانية مع القرآن الكريم:

لا شكّ ولا ريب أن القرآن الكريم كتابُ إعجازٍ متجدد، لا يقف إعجازه عند حدود الإعجاز البياني أو العلمي أو الطبي أو العددي، بل يتجدد هذا الإعجاز يومًا بعد يوم كلما دارت حوله البحوث وكثرت فيه التأملات.

وقد استرعى انتباهي وأنا أتأمل في هذا الكتاب العظيم فكرة المحفوظات، فكثيرًا ما تَرِدُ في كتاب الله هذه المادة بصيغها المختلفة، ولنستعرض الآن ما ورد منها في كتاب الله على سبيل الحصر:

*كلمة: (يحافظون) وردت ثلاث مرات:

الأولى: في سورة الأنعام، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [الأنعام:٩٢].

الثانية: في سورة المؤمنون، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون:٩].

الثانية: في سورة المعارج، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المعارج:٣٤].

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

***كلمة "محفوظ" بصيغة اسم المفعول وردت مرتين:**

الأولى: في سورة الأنبياء، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ [الأنبياء:٣٢].

الثانية: في سورة البروج، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴾[البروج:٢٢].

* كلمة "حافظ" بصيغة اسم الفاعل مذكرًا ومؤنثًا مُفردًا وجمعًا، وردت إحدى عشرة مرة، منها على سبيل المثال لا الحصر(١):

الأولى: في سورة المؤمنون، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴾[المؤمنون:٥].

الثانية: في سورة يوسف، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴾ [يوسف:٨١].

الثالثة: في سورة النساء، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾ النساء [النساء:٣٤].

*** وورد الفعل: "احفظ" بصيغة الجمع أمْرًا مرة واحدة:**

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾[المائدة:٨٩].

*** وورد الوصف المذكر: (حفيظ) في أحد عشر موضِعًا:**

– فمرَّةً وصفًا لله تعالى، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾[هود:٥٧] (٢).

---

(١) [البقرة:٢٣٨]، [النساء:٣٤]، [التوبة:١١٢]، [يوسف:١٢]، [يوسف:٦٣]، [يوسف:٦٤]، [يوسف:٨١]، [الحجر:٩]، [الأنبياء:٨٢]، [المؤمنون:٥]، [الأحزاب:٣٥]، [المعارج:٢٩]، [الانفطار:١٠]، [المطففين:٣٣ [الطارق:٤].

(٢) وقوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ:٢١] ، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

- ومرَّةً وصفًا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾[النساء:٨٠] (١).

- ومرَّةً وصفًا لنبي الله يوسف عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴾ [يوسف:٥٥].

- وأخرى وصفًا للَّوح المحفوظ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٞ ﴾[ق:٤].

- ومرَّةً وصفًا للعبد المؤمن التائب، وذلك في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ﴾[ق:٣٢].

فهذه الآيات الكثيرة تستدعي بعد طول النظر فيها وكثرة التأمل في معانيها عدة أسئلة جديرة بالاهتمام، وهي: لماذا أمرنا الله بحفظ تلك الأمور وشدد عليها؟ ولماذا تكفل الله بحفظ بعض الأشياء؟ ولماذا مدح الله الحافظين والحافظات في كتابه؟ ومن هؤلاء وما صفتهم؟ وهذه الأسئلة نحاول الإجابة عنها من خلال هذا البحث تأملًا في كتاب الله وسياحة في كتب التفسير عَمَلًا بقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[ص:٢٩].

وقد بدا لي أن أقسم هذه المحفوظات إلى قسمين الأول:

المحفوظات قَدَرًا وأعني بها أربعة أشياء: حفظ القرآن الكريم، وحفظ السماء، وحفظ الأعمال، وحفظ الإنسان.

مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴾[الشورى:٦].

(١) وقوله تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴾[الأنعام:١٠٤] وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۖ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴾[الأنعام:١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴾[هود:٨٦]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ﴾[الشورى:٤٨].

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

القسم الثاني: المحفوظات شرعًا: وأعني بها كل ما أمر الشارع الحكيم بحفظه ورعايته أو مدح المحافظين عليه في كتابه العزيز وهي: حفظ حدود الله وحفظ الصلاة، وحفظ الأيمان، وحفظ الفروج، وحفظ غَيبة الزوج. وأسأل أن يشرح صدورنا وييسر أمورنا وأن يلهمنا رشدنا أنه سميع قريب.

المبحث الأول: المحفوظات قَدَرًا، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حفظ القرآن الكريم.

نقصد بالمحفوظات قدرًا: الأمور التي قضى اللهُ بحفظها وجعل هذا الحفظ من أقداره في خَلْقِه، ويأتي في مقدمة هذه المحفوظات وغرتها (القرآن الكريم).

فمن المعلوم بجلاء أن الله عز وجل قد تعهد بحفظ القرآن الكريم، بدءًا من نزوله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى آخر الزمان فقال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[الحجر:٩].

قال الطبري رحمه الله: وإنا للقرآن لحافظون من أن يُزاد فيه باطل مَّا ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه(١).

ولا شك أن حفظ القرآن الكريم يشمل حفظ السور والآيات، كما يشمل حفظ الحروف والكلمات، فهو إذن حِفْظٌ شاملٌ يتناولُ أصغر وحدة صوتية في النص القرآني -وهي الحركة - كما يتناول أكبر وحدة صوتية -وهي الجملة-، فهو محفوظ في تنزيله، محفوظ في ألفاظه، محفوظ في معانيه.

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، للطبري (١٧/ ٦٨).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

وقد شاء الله سبحانه أن يكون التلقي والمشافهة هو أساس هذا الحفظ، فلا تؤخذ القراءة إلا بالنقل الصوتي عن طريق سلسلة الشيوخ المتصل سندهم بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن القراءة سنة متبعة وطريقة توقيفية لا اجتهادَ فيها، سواء أكان في تحرير ألفاظ النص القرآني، أم في البحث عن رواياته التي استقر علماء القراءات على صحتها وتسميتها.

ومن ثَـمَّ فليس لأحد مهما بلغ علمه أو ارتفع قدره، أن يُحَرِّف حرفًا من القرآن أو يزعم نطقه بطريقةٍ غير التي رُوِيَت عن أهله الذين أخذوه بالسند المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لشيء سوى اجتهاد، أو سطر قرأه في كتاب.

يقول محمد حسن جبل رحمه الله: "قد حفظ لنا مؤرخو القراءات أسماء كوكبة من الصحابة عُرِفُوا بأنهم عرضوا القرآنَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أي: قرؤوه أمامه وهو يسمع منهم، وذلك للتوثيق، والتأكد من أن ما وَعَوْه من القرآن مطابق لما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم -عبارات وكلمات- بأعيانِ حروفها وضبط أصواتها".(١)

وتجدر الإشارة إلى أن الله عز وجل قد سمى كتابه "قرآنًا" حيث قال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩] ، وسماه -أيضًا- الكتاب، ومنه قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:٢].

وهاتان التسميتان تشيران إلى معنى في غاية الدقة يتعلق بموضوع الحفظ، وقد ألمح إليه الشيخ الدكتور عبدالله دراز رحمه الله: في كتابه "النبأ العظيم" فقال: "سر التسمية بالاسمين جميعًا: روعي في تسميته قرآنًا كونه متلوًّا بالألسن، كما روعي في تسميته كتابًا كونه مدونًا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه. وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعًا، أن تضل إحداهما

(١) ينظر: وثاقة نقل النص القرآني من رسول الله إلي أمته، د. محمد جبل، ص ٣ بتصرف.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

فتذكر إحداهما الأخرى، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافقَ الرسمُ المجمعُ عليه من الأصحاب المنقولَ إلينا جيلًا بعد جيل على هيئته التي وُضِعَ عليها أول مرة. ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافقَ ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر(١).

ونختم هذا المطلب بسؤالٍ عن سبب اختصاص القرآن بالحفظ دون غيره من الكتب السماوية التي قبله؟

يقول محمد أبو شُهبة رحمه الله: والسر في أنّ الله سبحانه وتعالى كلف الأمة المحمدية بحفظ القرآن العظيم ولم يكلف الأمم السابقة بحفظ كتبها وصحفها؛ أن هذه الكتب لم تكن معجزة بألفاظها ولم يشأ الله ذلك لحكمة يعلمها بخلاف القرآن الكريم، فقد شاء الله سبحانه –وله الحكمة البالغة– أن يكون معجزًا بلفظه فضلًا عن معانيه، فكان من الضروري المحافظة على النص بالطريق المفيدة للقطع واليقين، وليس ذلك إلاّ بأن يحفظه العدد الكثير في كل جيل وعصر، الذين لا يجوز عليهم الكذب ولا الغلط ولا السهو، وهو ما يعرف في علم الرواية بالتواتر، وقد وَفَّرَ اللهُ له من الدواعي إلى حفظه ما لم يتوفر لغيره من الكتب السماوية، بَلَه الأرضية، وأيضًا من الحكم أن القرآن هو الأصل الأصيل للدين العام الخالد الباقي ما بقي إنسان على وجه هذه الأرض وهو الإسلام، فكان لا بد من المحافظة على كتابه، ليخلد خلود هذا الدين الذي يعتبر القرآن أصلًا له(٢).

ومعنى كلامه رحمه الله أن القرآن الكريم يحمل رسالة الخلود إلى البشرية فلابد أن يكون محفوظًا من التبديل أو التغيير، بخلاف الكتب السماوية التي سبقته فقد كانت لأقوام خاصة.

---

(١) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم للشيخ محمد بن عبد الله، (ص/ ٤٢).
(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبي شُهبة (ص/ ٣٩٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

ففي حِفْظِ اللهِ تعالى للقرآن الكريم حفظ للدين والشـريعة من التبديل أو الزيادة أو النقص، وهو الذي يترتب عليه حفظ مكانة الأمة الإسلامية، فالأمة لَـــمْ تنَلْ الخيرية على سائر الأمم إلاّ بتمسكها بدينها، فإن هي تركته أو كان هو محرَّفٌ مُبدَّلٌ كان في ذيل الأمل خِسَّةً ودناءة.

المطلب الثاني: حفظ السماء.

أخبر الله عز وجل أنه خلق السماوات وجعلها سقفًا محفوظًا بقدرته سبحانه وتعالى، فقال: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾[الأنبياء: ٣٢].

والسقف كما يقول ابن منظور رحمه الله: (غِماءُ البيت، والجمع سُقُفٌ)(١).

قال الرازي رحمه الله: سمى السماءَ سقفًا لأنها للأرض كالسقف للبيت. وقال أيضًا: في المحفوظ قولان:

أحدهما: أنه محفوظ من الوقوع والسقوط اللذين يجري مثلهما على سائر السقوف(٢)، كقوله: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾[الحج:٦٥]، وقال: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [الروم:٢٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾[فاطر:٤١]، وقال: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الثاني: محفوظًا من الشياطين، قال تعالى: ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾[الحجر: ١٧] ثم هاهنا قولان:

أحدهما: أنه محفوظ بالملائكة من الشياطين(٣).

---

(١) لسان العرب، مادة: (سَقَفَ) (٩/ ١٥٥).
(٢) ذكره السمعاني تفسيره، (٣/ ٣٧٨).
(٣) ذَكَره أبو محمد مكي بن أبي طالب، (الهداية إلى بلوغ النهاية ٧/ ٤٧٥١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

وثانيهما: أنه محفوظ بالنجوم من الشياطين، والقول الأول أقوى لأن حمل الآيات عليه مما يزيد هذه النعمة عظمًا لأنه سبحانه كالمتكفل بحفظه وسقوطه على المكلفين بخلاف القول الثاني لأنه لا يخاف على السماء من استراق سمع الجن(١).

وهناك بعض الأقوال في المراد بحفظ السماء، فمنها على سبيل المثال لا الحصر:

قال قتادة رحمه الله: حِفْظٌ من البِلَى والتغير على طول الدهر(٢).

وقال القرطبي رحمه الله: وقيل: محفوظًا من الهدم والنقض، وعن أن يبلغه أحد بحيلة. وقيل: محفوظًا فلا يحتاج إلى عماد. وقال مجاهد: مرفوعًا. وقيل: محفوظًا من الشرك والمعاصي (٣).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾[النبأ:١٢]، يقول الرازي : فإن قيل: لفظ البناء يستعمل في أسافل البيت والسقف في أعلاه فكيف قال: وبنينا فوقكم سبعًا؟ قلنا: البناء يكون أبعَدَ من الآفة والانحلال من السقف، فذكر قوله: وبنينا إشارة إلى أنه وإن كان سقفًا لكنه في البُعْد عن الانحلال كالبناء، فالغرض من اختيار هذا اللفظ هذه الدقيقة(٤).

قال تعالى: ﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[فصلت:١٢].

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله: والمراد ﴿بِمَصَٰبِيحَ ﴾ : النجوم، استعير لها المصابيح لما يبدو من نورها. وانتصب ﴿وَحِفْظًا ﴾ على أنه مفعول لأجله لفعل محذوف دل عليه فعل: ﴿وَزَيَّنَّا ﴾ ، والتقدير: وجعلناها حِفْظًا. والمراد: حفظًا للسماء من الشياطين المسترقة للسمع(٥).

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي، (٢٢/ ١٣٩).
(٢) البحر المحيط في التفسير، (٧/ ٤٢٦).
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (١١/ ٢٨٥).
(٤) مفاتيح الغيب، (٣١/ ١٠).
(٥) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، (٢٤/ ٢٥١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

ولا شك أن في حِفْظ السماء نعمة عظيمة ومِنَّة جسيمة من الباري عز وجل على عباده، وهذه النعمة يتساوى فيها البَشَر كلهم مؤمنهم وكافرهم.

المطلب الثالث: حفظ الأعمال.

ومن الأمور التي أخبرنا الله عز وجل بحفظها أيضًا أعمال العباد. والحفظ هنا بمعنى الإحصاء والتسجيل، فكل مسلم آمن بالله ربًا ورضي به وبمحمد نبيًا ورسولًا قد وكّل الله به ملكًا يحصي عليه أعماله ويحفظها في سجل حتى يلقى بها الله عز وجل يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ:٢١].

قال ابن عاشور: وجملة ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ تذييل، والحفيظ: الذي لا يخرج عن مقدرته ما هو في حفظه، وهو يقتضي العِلْم والقدرة إذ بمجموعهما تتقوم ماهية الحفظ ولذلك يتبع الحفظ بالعلم كثيرًا، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، وصيغة فعيل تدل على قوة الفعل وأفاد عموم كل شيء أنه لا يخرج عن علمه شيء من الكائنات(١).

قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق:٤].

قال الطبري: ﴿وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ وعندنا كتاب بما تأكل الأرض وتفني من أجسامهم، ولهم كتاب مكتوب مع علمنا بذلك حافظ لذلك كله، وسماه الله تعالى حفيظًا؛ لأنه لا يدرس ما كتب فيه، ولا يتغير ولا يتبدل، ولهذا يجدر بالمسلم أن يستحي من هؤلاء الكرام وأن يعظم حرمة مصاحبتهم له(٢).

---

(١) التحرير والتنوير، (٢٢/ ١٨٥).
(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٢٢/ ٣٢٨).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

وقال ابن الجوزي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[الطارق:٤]: وفيه قولان: أحدهما: أنهم الحفظة من الملائكة، قاله ابن عباس. قال قتادة: يحفظون على الإنسان عمله من خير أو شر. والثاني: حافظ يحفظ الإنسان حتى حين يسلِّمه إلى المقادير، قاله الفرّاء.(١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار:١٠- ١٢].

قال ابن كثير: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ لملائكة حفظة كرامًا فلا تقابلوهم بالقبائح، فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم(٢).

وقد سماهم الله تعالى ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ أي: على الله تعالى أو بالإيمان أو لأنهما لا يفارقان ابن آدم إلا عند الغائط والجماع يعرضان عنه ويكتبان ما تكلم به (٣).

قال السمعاني: ﴿كَاتِبِينَ ﴾ هم الملائكة يقعدون عن يمين الإنسان ويساره، فيكتبون ما عليه وله. وقيل: واحد عن يمينه وواحد عن يساره، فالذي عن يمينه يكتب الحسنات، والذي عن يساره يكتب السيئات. وقيل: إن الذي عن يمينه أمين على الذي على يساره لا يكتب إلا بإذنه(٤).

وذَكَر ابن عادل الحنبلي في تفسيره الفائدة مِن حِفْظِ الملائكة للأعمال فقال: وفي فائدة جعل الملائكة موكلين على بني آدم وجوه: أحدها: أن المكلف إذا علم أن الملائكة موكلين به يحصون عليه عمله، ويكتبونه في صحيفة تعرض على رؤوس

(١) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٢٩).
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/ ٣٤٤).
(٣) تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ٤٢٨).
(٤) تفسير القرآن، للسمعاني (٦/ ١٧٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

الأشـــهاد في مواقف القيامة كان ذلك أزجر له عن القبائح. والثاني: يحتمل أن تكون الكتابة لفائدة وزن تلك الصـــحائف يوم القيامة؛ لأن وزن الأعمال غير ممكن، أما وزن الصـــحائف ممكن. وثالثها: يفعل الله ما يشـــاء، ويحكم ما يريد، ويجب علينا الإيمان بكل ما ورد به الشرع، سواء عقلناه أم لم نعقله(١).

وهنا مسألة، هل الملائكة تحفظُ أعمال الكفار؟

قال القرطبي رحمه الله: واختلف الناس في الكفار هل عليهم حفظة أم لا؟ فقال بعضـــهم: لا، لأن أمرهم ظاهر، وعملهم واحد، قال الله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾[الرحمن:٤١]. وقيل: بل عليهم حفظة، لقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[الانفطار:٩- ١٢](٢).

وقد ذَكَرَ الرازي أن الله تعالى وصـف هؤلاء الملائكة بصـفات أولها: كونهم حافظين، وثانيها: كونهم كرامًا، وثالثها: كونهم كاتبين، ورابعها: كونهم يعلمون ما تفعلون، وفيه وجهان أحدهما: أنهم يعلمون تلك الأفعال حتى يمكنهم أن يكتبوها، وهذا تنبيه على أن الإنسان لا يجوز له الشهادة إلا بعد العِلْم، والثاني: أنهم يكتبونها حتى يكونوا عالمين بها عند أداء الشهادة(٣).

فمَن عَلِم أن الملائكة لا تفارقه وتكتب كل ما يصدر منه وأيقنه؛ فحريٌّ به أن يستحيي من الملائكة ويكرمهم، نسأل اللهَ أن يغفر لنا ويتجاوز عنا ويستر علينا. آمين آمين.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي (٨/ ١٩٦).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٩/ ٢٤٨).
(٣) مفاتيح الغيب (٣١/ ٧٨).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

المطلب الرابع: حفظ الإنسان.

من الأمور التي تكفّل الله عز وجل بحفظها أيضًا حفظ الإنسان فقال عز وجل: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾[الرعد:١١].

وقد مرَّ معنا في المطلب السابق تفسير قوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴾[الطارق:٤]: وأن مما قيل في تفسيرها: حافظ يحفظ الإنسان حتى حين يسلِّمه إلى المقادير، قاله الفرّاء.(١).

ولنا مع هذه الآية الكريمة عدة وقفات:

الوقفة الأولى: ما المراد بالمعقِّبات؟ وللإجابة عن ذلك ننقل ما أورده ابن جزي رحمه الله في تفسيره، حيث قال: هنا جماعة الملائكة، وسميت معقبات لأن بعضهم يعقب بعضًا، والضمير في له يعود على من المتقدّمة، كأنه قال: لمن أسر ومن جهر، ولمن استخفى ومن ظهر له معقبات، وقيل: يعود على الله وهو قول ضعيف لأن الضمائر التي بعده تعود على العبد باتفاق يَحْفَظُونَهُ صفة للمعقبات، وهذا الحفظ يحتمل أن يراد به حفظ أعماله أو حفظه وحراسته من الآفات مِنْ أَمْرِ اللَّهِ صفة للمعقبات أي معقبات من أجل أمر الله أي أمرهم بحفظه، وقُرِئ بأمر الله، وهذه القراءة تعضد ذلك، ولا يتعلق من أمر الله على هذا ليحفظوه، وقيل: يتعلق به على أنهم يحفظونه من عقوبة الله إذا أذنب بدعائهم له واستغفارهم (٢).

(١) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٢٩).
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (١/ ٤٠١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

قال الرازي: إذا عرفت هذا فنقول: في المراد بالمعقبات قولان. الأول: وهو المشـــهور الذي عليه الجمهور أن المراد منه الملائكة الحفظة وإنما صـــح وصـــفهم بالمعقبات، إما لأجل أن ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار وبالعكس، وإما لأجل أنهم يتعقبون أعمال العباد ويتبعونها بالحفظ والكتب، وكل من عمل عملًا ثم عاد إليه فقد عقب، فعلى هذا المراد من المعقبات ملائكة الليل وملائكة النهار(١).

الوقفة الثانية: في المراد بـ ﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾.

قال القاسمي: تعليلية أو بمعنى باء السببيّة ولا فرق بين العلة والسبب عند النجاة، وإن فرق بينهما أهل المعقول(٢).

وذهب القشـــيري رحمه الله إلى أن ﴿مِنۡ﴾على حقيقتها، والمعنى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ﴾ راجعة إلى العبد، فقال: أي: أن الله وَكَّلَ بكلّ واحد منهم معقبات، وهم الملائكة الذين يعقب بعضـهم بعضًـا بالليل والنهار يحفظون هذا المكلّف وذاك ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾، أي: مِن البلاء الذي بقدرة الله ، يحفظونهم بأمر الله من أمر الله، وذلك أن الله –ســبحانه– وكل لكلّ واحد من الخلق ملائكة يدفعون عنهم البلاء إذا ناموا وغفلوا، أو إذا انتبهوا وقاموا ومشوا ... وفى جميع أحوالهم (٣).

---

(١) مفاتيح الغيب (١٩/ ١٧).
(٢) محاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٢٦٤)
(٣) لطائف الإشارات، للقشيري (٢١٨/٢)

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

وقال الزمخشـــري رحمه الله: له معقبات من أمر الله، أو يحفظونه من أجل أمر الله، أي: من أَجْلِ أنّ الله أمرهم بحفظه. والدليل عليه قراءة علي رضـــي الله عنه وابن عباس رضـــي الله عنه وزيد بن على وجعفر بن محمد وعكرمة (١): يحفظونه بأمر الله، أو يحفظونه مِن بأس الله ونقمته إذا أذنب، بدعائهم له ومسألتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب وينيب(٢).

الوقفة الثالثة: هذه الآية خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم فقط؟

ذهب بعض المفسرين إلى القول بذلك منهم ابن أبي حاتم الذي قال: هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة (٣). وأكثر المفسرين على أن الآية عامة لكل مسلم.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام:٦١].

قال السعدي رحمه الله: ﴿ وَهُوَ ﴾ تعالى ﴿ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ ينفذ فيهم إرادته الشاملة، ومشيئته العامة، فليسوا يملكون من الأمر شيئًا، ولا يتحركون ولا يسكنون إلا بإذنه، ومع ذلك، فقد وكل بالعباد حفظةٌ من الملائكة، يحفظون العبد ويحفظون عليه ما عمل، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار:١٠- ١٢]، ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٧-١٨] فهذا حفظه لهم في حال الحياة، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ أي: الملائكة الموكلون

(١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن الموصلي (١/ ٣٥٥)
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٥١٧).
(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٢٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

بقبض الأرواح ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ في ذلك فلا يزيدون ساعة مما قدره الله وقضاه ولا ينقصون ولا ينفذون من ذلك إلا بحسب المراسيم الإلهية والتقادير الربانية(١).

المبحث الثاني: المحفوظات شَرْعًا، وفيه خمسة مطالب:

ونقصد بالمحفوظات شرعًا: الواجبات التي أمرنا الشارع الحكيم بحفظها، والحفظ هنا يعني إما المواظبة على الأمر كما في حفظ الصلاة، أو بمعنى اليقظة وقلة الغفلة كما في حفظ الأيمان، وحفظ حدود الله أو الحفظ بمعنى: الوَفاء بالعَقْد والتمسُّكُ بالودّ كما في حفظ غيبة الزوج حفظ الفروج. وسوف نستعرض هذه المحفوظات من خلال هذا المبحث في مطالب خمسة نبدؤها بـ "حفظ حدود الله":

المطلب الأول: حفظ حُدُودِ الله.

ذَكَر الباري عز وجل "حُدُودَه" وأمر بحفظها في أكثر من آية من كتابه، ومن هذه الآيات قوله سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء:١٣].

ذَكَر الماوردي في تفسيره خمسة أقاويل في المراد بحدود الله في هذه الآية: أحدها: شروط الله، وهو قول السدي. والثاني: طاعة الله،

(١) تفسير تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص/ ٢٥٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

وهو قول ابن عباس(١). والثالث: سُـنّة الله وأمرُه(٢). والرابع: فرائض الله التي حَدَّها لعباده (٣). والخامس: تفصـيلات الله لفرائضه (٤).

وقال تعالى: ﴿وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة:١١٢].

قال الطبري رحمه الله: وأما قوله: ﴿وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ ، فإنه يعني: المؤدّون فرائض الله، المنتهون إلى أمره ونهيه، الذين لا يضيعون شيئًا ألزمهم العملَ به، ولا يرتكبون شيئًا نهاهم عن ارتكابه(٥).

ولو تأملنا في قوله سـبحانه: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَا﴾وقوله عز وجل: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَا﴾[البقرة:١٨٧] لوجدنا أن الباري عز وجل مَـرَّة نهانا ألاّ نتعدى حدوده، ومَـرَّة نهانا ألاّ نقربها، وفي ذلك يقول النيسابوري: وإنما قال هاهنا ﴿فَلَا تَقۡرَبُوهَا﴾ وفي موضـع آخر: ﴿فَلَا تَعۡتَدُوهَا﴾ لأن العامل بشـرائع الله أوامر ونواهي منصـرف في حيز الحق، فإذا تعداه وقع في حيز الباطل. فالنهي عن التعدي هو المقصـود إلا أن الأحوط أن لا يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل كيلا يذهل فيقع في الباطل، عن النعمان بن بشـير: سمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقول: {إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن وبينهما مشـتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشـبهات اسـتبرأ لدينه وعرضـه ومن وقع في الشـبهات وقع في الحرام كالراعي

(١) عن ابن عباس قوله: تلك حدود الله يعني: طاعة الله، يعني: المواريث التي سمى. تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٩٠).
(٢) عن سعيد قوله: تلك حدود الله يعني: سنة الله وأمره في قسمة الميراث. تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٩٠).
(٣) وهو قول الحسن، ذكره الطبري في جامع البيان (١٤/ ٥٠٨)، وقول أبي عبيدة، ذكره ابن المنذر في (٢/ ٥٩٧).
(٤) النكت والعيون (١/ ٤٦١).
(٥) جامع البيان في تأويل آي القرآن (١٤/ ٥٠٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا ولكل ملك حمى وحمى الله محارمه}(١). وقيل: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أي: لا تتعرضوا لها بالتغيير كقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾[الإسراء: ٣٤] وقيل: الأحكام المذكورة بعضها أمر وأكثرها نهي، فغلب جانب التحريم أي لا تقربوا تلك الأشياء التي منعتم عنها. وأما في الأوامر فقال: ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ أي: اثبتوا عليها ولا تتخطوها، كَذلِكَ أي كما بين ما أمركم به وما نهاكم عنه في هذا المقام يُبَيِّنُ سائر أدلته على دينه وشرعه إرادة أن يتصف الناس بالتقوى جعلنا الله تعالى من المتقين بفضله ورحمته(٢).

والذي يتضح لي —والله أعلم— أن السياق الذي وَرَدَ في عَدَم التَّعَدِّي ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾(٣) كان في بيان الأشياء المباحة كالطلاق وأحكامه، وذلك في قوله سبحانه: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٢٩]، وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق:١]، وأما السياق الذي وَرَدَ فيه النهي عن الاقتراب ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾فكان في بيان الأشياء المُحَرَّمة التي لا يجوز فعلها، كجماع الزوجة في

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه (١/٢٠) برقم: ٥٢، ومسلم، كتاب: المساقاة، باب: الحلال وترك الشبهات (٣/ ١٢١٩) برقم: ١٥٩٩.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (١/ ٥٢٠)

(٣) قال زين الدين أبو يحيى السنيكي: إنْ قلتَ: لِمَ قال هنا "فَلا تَقْرَبُوهَا" وقال في التي بعدها "فلا تعتدوها"؟ قلتُ: لأن الحدَّ هنا نهيٌ وهو قوله "ولا تُبَاشِروهنَّ" وما كان من الحدود نهيًا، نُهيَ فيه عن المقاربة. والحدُّ فيما بعدُ أمرٌ، وهو بيان عدد الطلاق بقوله "الطَّلاقُ مرَّتَانِ" الآية، وما كان أمرًا نُهيَ عنه عن الاعتداء وهو مجاوزة الحدِّ. (الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، لزين الدين أبو يحيى السنيكي ١/ ٥٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

المسجد أثناء الاعتكاف، وذلك في قوله سبحانه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٧]، ففيما سبق إرشادٌ لنا أننا نبقى في المباح ولا نتجاوزه ونتعدَّاه إلى المُحَرَّم، وأما المُحَرَّم فكان التحذير مِن قُرْبِهِ أبلغ من التحذير من عدم فِعْله، فعدم القرب يستلزم عدم الفِعل، وأما القرب منه فقد يقع الإنسان في المحرم في حال ضعف النفس، كما ثبت ذلك في حديث النعمان بن بشير، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {..... كراع يرعى حول الحمى، يوشك أن يُواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه}(١).

ثم يحسن بنا أن نبيّن أن الباري عز وجل قد مدح المحافظين على حدوده وبشَّرهم بخير موعودٍ عنده سبحانه، بل وعدَّهم من عداد أهل الإيمان سبحانه فقال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١١٢].

قال ابن عاشور رحمه الله: أسماء الفاعلين هنا أوصاف للمؤمنين من قوله:﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١١] فكان أصلها الجر، ولكنها قطعت عن الوصفية وجعلت أخبارًا لمبتدأ محذوف هو ضمير الجمع اهتماما بهذه النعوت اهتماما أخرجها عن الوصفية إلى الخبرية، ويسمى هذا الاستعمال نعتًا مقطوعًا، وما هو بنعت اصطلاحي ولكنه نعت في المعنى(٢).

---

(١) سبق تخريجه في صفحة ٢٥.

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٤٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

وقال البيضاوي رحمه الله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل، ووضع الْمُؤْمِنِينَ موضع ضميرهم للتنبيه على أن إيمانهم دعاهم إلى ذلك، وأن المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل: وبشرهم بما يجل عن إحاطة الأفهام وتعبير الكلام(١).

ففي حِفْظِ العبادِ لحدود الله تعالى حفظ للإنسان نفسه، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أنه حدثه: أنه ركب خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا غلام، إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك....). (٢)

المطلب الثاني: حفظ الصلاة.

لا ريب أن الأمر بحفظ الصلاة مستفيض في كتاب الله عز وجل، وما أكثرَ ما مدح الله سبحانه المقيمين للصلاة، ووعدهم بالفضل الكبير والجزاء الجزيل، وقد ذكرت الصلاة في أكثر من خمسة وخمسين آية في كتاب الله عز وجل، بل إن الله سبحانه وتعالى استفتح كتابه بذكر صفات المتقين، وجعل في غرتها الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة فقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[البقرة ٢-٣].

وتعددت الآيات التي تبين شروط الصلاة صحتها والأحكام المتعلقة بها تفصيلًا تارة وإجمالًا تارة أخرى، فمن ذلك ما ورد في صلاة الخوف من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٣/ ٩٩).
(٢) مسند أحمد، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (٤/ ٤٠٩)، سنن الترمذي، باب: ما جاء في صفة أواني الحوض (٤/ ٢٤٨) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ٦٢٣) صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ص/ ٢١٣١٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

مُّبِينًا ﴾والإشارة هنا ... أن الله سبحانه وتعالى أمر بالمحافظة على الصلاة حال الحرب فما بالنا بحال السلم! فلا ريب أن المحافظة عليها أشد وأوجب.

وجعل الله سبحانه التكاسل عن أداء الصلاة أو تأخيرها عن مواقيتها سِمَةَ المنافقين وشارَةَ المرائين فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:١٤٢]، وقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾[الماعون:٥-٦].

قال أبو محمد مكي بن أبي طالب: هذا إعلام من الله تعالى أن المنافقين لا يعملون شيئًا من الفروض إلاّ رياء، وإبقاء على أنفسهم، فهم إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، إذ ليست عندهم بفرض. إنما يقومون للناس رياء إذ لا يرجون ثوابًا، ولا يخافون عقابًا(١).

وقد جعل الله سبحانه الصلاة منهاةً عن الفحشاء وصادةً لصاحبها عن كل منكر فقال سبحانه: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٥].

وقد أمر الباري عز وجل بالمحافظة على الصلاة في كتابه الكريم، حيث قال: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[البقرة:٢٣٨].

قال النسفي رحمه الله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ داوموا عليها بمواقيتها وأركانها وشرائطها ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ بين الصلوات أي: الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط، وإنما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل، وهى صلاة العصر عند أبي

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/ ١٥٠٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

حنيفة رحمه الله وعليه الجمهور لقوله عليه السلام يوم الأحزاب: {شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارًا}(١)...ولأنها بين صلاتي الليل وصلاة النهار وفضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم. وقيل: صلاة الظهر؛ لأنها في وسط النهار. أو صلاة الفجر؛ لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل. أو صلاة المغرب؛ لأنها بين الأربع والمثنى ولأنها بين صلاتي مخافتة وصلاتي جهر. أو صلاة العشاء؛ لأنها بين وترين أو هي غير معينة كليلة القدر ليحفظوا الكل﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ ﴾ في الصلاة ﴿قَٰنِتِينَ ﴾حال أي مطيعين خاشعين أو ذاكرين الله في قيامكم والقنوت أن تذكر الله قائمًا أو مطيلين القيام(٢).

وقد مدح الباري عز وجل المحافظين على صلواتهم فقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [الأنعام:٩٢].

قال ابن عطية: ثم ابتدأ تبارك وتعالى بمدح وصفهم وأخبر عنهم أنهم يؤمنون بالآخرة والبعث والنشور، ويُؤْمِنُونَ بالقرآن ويصدقون بحقيقته، ثم قوى عز وجل مدحهم بأنهم «يحافظون على صلاتهم» التي هي قاعدة العبادات وأم الطاعات (٣).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، باب: الدعاء على المشركين، (٨ / ١٨٤٣٩) برقم: ٦٣٩٦. ومسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: التغليظ في تفويت صلاة العصر (١ / ٤٣٦) برقم: ٦٢٧.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (١/ ١٩٩)

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٢ / ٣٢٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

بل وعَدَّ الباري عز وجل المحافظةَ على الصلاة دلالةً على الإيمان، وعلامةً على الفلاح، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون:١]، ثم شَرَعَ سبحانه في تِعدادِ صفاتهم، ثم خَتَم في صفة المحافظة على الصلاة فقال(١): ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[المؤمنون:٩-١١].

قال أبو السعود: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ المفروضةِ عليهم ﴿ يُحَافِظُونَ ﴾ يُواظبون عليها ويُؤدُّونها في أوقاتها، ولفظُ الفعلِ فيه لما في الصَّلاةِ من التَّجدُّدِ والتَّكرُّر، وهو السرُّ في جمعها وليسَ فيه تكريرٌ لما أنَّ الخشوعَ في الصَّلاة(٢) غيرُ المحافظةِ عليها، وفصلُهما للإيذانِ بأنَّ كلًا منهما فضيلةٌ مستقلَّةٌ على حيالِها، ولو قُرنا في الذِّكرِ لرُبّما توهِّم أنَّ مجموعَ الخشوعِ والمحافظةِ فضيلةٌ واحدةٌ(٣).

فمِن تعظيم اللهِ جل وعلا لشأن أوقات الصلاة أن جعلها كتابًا موقوتًا، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾[النساء:١٠٣]، ولذا فإن العاجز عن فعل بعض شروط الصلاة وواجباتها كالطهارة، واستقبال القبلة، وستر العورة، والقيام، والركوع؛ فإنه يصلي في وقت الصلاة لا يُؤخرها، على أي حالٍ يستطيعه. وكذا الأمر في صلاة الخوف، بل حتى في حال القتال والمطاحنة فإنهم يصلون إيماءً مع إمكانهم أن يصلوها تامةً بعد خروج الوقت؛ كل ذلك محافظة على وقت الصلاة.

---

(١) وقال سبحانه في سورة المعارج: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المعارج:٣٤].

(٢) وهو قوله سبحانه في سورة المؤمنون: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون:٢].

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٦ / ١٢٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

ومما يؤكد أهمية الصلاة؛ أنها عصمة لدم ومال الإنسان كما جاء ذلك في حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله}(١).

المطلب الثالث: حفظ الأيْمان.

إن مِمّا نهى اللهُ عبادَه المؤمنين جَعْلَ اسمه سبحانه عُرضةً للحَلِفِ على كل صغير وكبير فقال: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٢٤].

قال القرطبي: لَمَّا أمر الله تعالى بالإنفاق وصحبة الأيتام والنساء بجميل المعاشرة قال: لا تمتنعوا عن شيء من المكارم تعللًا بأنا حلفنا ألا نفعل كذا، قال معناه ابن عباس والنخعي ومجاهد والربيع وغيرهم. قال سعيد بن جبير: هو الرجل يحلف ألاّ يبر ولا يَصِلُ ولا يُصْلِح بين الناس، فيقال له: بر، فيقول: قد حلفت. وقال بعض المتأولين: المعنى ولا تحلفوا بالله كاذبين إذا أردتم البر والتقوى والإصلاح، فلا يحتاج إلى تقدير "لا" بعد "أن". وقيل: المعنى لا تستكثروا من اليمين بالله فإنه أهيب للقلوب، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾. وذَمَّ مَنْ كَثَّرَ اليمينَ فقال تعالى:﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ [القلم:١٠]. والعرب تَمْتَدِحُ بِقِلَّةِ الأيمان، حتى قال قائلهم(٢): قليل الأَلَايَا حافظ ليمينه ... وإن صدرت منه الأَلِيَّةُ بَرَّتْ (٣).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب :﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ (١٤/١) برقم: ٢٥، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله (١/ ٥١) برقم: ٣٢.
(٢) البيت لكثير عزة، وهو من الطويل (المجموع اللفيف أبو جعفر الأفطسي الطرابلسي، ص: ٢١٢)
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/ ٩٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

ثم إنه تعالى أَمَرَ بحفظ الأيمان وشدَّد على أهميتها، وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾[المائدة:٨٩].

قال الطبري رحمه الله:﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ﴾ ، أيها الذين آمنوا ﴿أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ ، أن تحنثوا فيها، ثم تُضِيعُوا الكفارة فيها بما وصفته لكم(١).

وقال السمعاني: ظاهره النهي عن الحنث، وقيل: أراد به حفظ اليمين لا أن يحلف، والأول أصح(٢).

وقال ابن أبي حاتم في تفسيره: عن سعيد بن جبير: يعني: لا تتعمدوا الأيمان الكاذبة(٣).

وجاء في التفسير الوسيط: أَي: قلِّلوا منها، فلا تحلفوا إِلا لإِحقاق حق أَو دفع باطل(٤).

وبعد عرض أقوال بعض المفسرين لمعنى الحفظ نستطيع أن نقول أن مجمل الآراء في "حفظ الأيمان"، تتلخص فيما يلي:

١- أي: التقليل منها بحيث لا يحلف الإنسان على كل صغيرة من توافه الأمور تعظيما لله.

٢- النهي عن الحنث في الأيمان، فإن حدث وحلف الإنسان فيجب عليه ألا يحنث بل يكون حريصًا على البر بيمينه. وهو ما رجحه السمعاني كما مرَّ.

٣- يعني: عدم تركها بدون كفارة؛ وذلك حين يحنث فيها.

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن (١٠/ ٥٦٢).
(٢) تفسير القرآن، للسمعاني (٢/ ٦١).
(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (٤/ ١١٩٥).
(٤) التفسير الوسيط، لمجمع البحوث (٣/ ١١٤٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

فعلى المسلم الحرص على ألا يحلف ابتداءً إلا لعظائم الأمور، فإن حَلَفَ وَجَبَ عليه أن يَبَرَّ في يمينه ما لم تكن إثمًا أو قطيعة، فإن غلبه الحنث، ووقع في اليمين فإنه لا يتركها بدون كفارة. وكل هذه المعاني داخلة في قوله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾.

وقد جمع البقاعي هذه المعاني في تفسيره للآية جَرْيًا على عادته في تفسير المشترك اللفظي بكل معانيه فقال:﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ أي: فلا تحلفوا ما وجدتم إلى ذلك سبيلًا، ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم، فإنه سبحانه عظيم، ومن أكثر الحلف وقع في المحذور ولا بد، وإذا حلفتم فلا تحنثوا دون تكفير (١).

وهنا يلوح سؤال مهم وهو: ما الحكمة من التقليل من الأيمان؟

وقد أجابه عن السؤال الرازي في تفسيره فقال: والحكمة في الأمر بتقليل الأيمان أن من حلف في كل قليل وكثير بالله انطلق لسانه بذلك ولا يبقى لليمين في قلبه وقع، فلا يؤمن إقدامه على اليمين الكاذبة، فيختل ما هو الغرض الأصلي في اليمين، وأيضًا كلما كان الإنسان أكثر تعظيمًا لله تعالى كان أكمل في العبودية ومِن كمال التعظيم أن يكون ذِكْرَ الله تعالى أجل وأعلى عنده من أن يستشهد به في غرض من الأغراض الدنيوية. وأما قوله تعالى بعد ذلك: ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ ، فهو علة لهذا النهي، فقوله: ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ أي: إرادة أن تبروا، والمعنى: إنما نهيتكم عن هذا لما أن توقي ذلك من البر والتقوى والإصلاح، فتكونوا يا معشر المؤمنين بررة أتقياء مصلحين في الأرض غير مفسدين.

فإن قيل: وكيف يلزم من ترك الحلف حصول البر والتقوى والإصلاح بين الناس؟

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٦/ ٢٨٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

قلنا: لأن من ترك الحلف لاعتقاده أن الله تعالى أجل وأعظم أن يستشهد باسمه العظيم في مطالب الدنيا وخسائس مطالب الحلف، فلا شك أن هذا من أعظم أبواب البر (١).

المطلب الرابع: حفظ الفُرُوج.

لا شك أن الله تعالى أمر بحفظ الفروج وعدم التعدي على الحُرُمات، لِمَا في ذلك مِن حفظ الأنساب والحقوق، والفرج اسم يجمع سوأة الرجل والمرأة، وحفظ الفرج يعني التعفف عن الحرام، وقد تعدد الأمر بحفظ الفروج في كتاب الله في مواضع عديدة، منها ما ورد في سور المؤمنون وهو قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴾ [المؤمنون:٥]، وسورة الأحزاب في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٣٥]، وسورة المعارج في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴾[المعارج:٢٩].

وقد وَرَدَ الأمرُ بحفظِ الفروج في آية سورةِ المؤمنون في سياق سَرْدِ صفات المؤمنين في بعدما ذُكِر الخشوع في الصلاة والابتعاد عن اللغو وإيتاء الزكاة، وفي ذلك إشارة المحافظة على الصلاة والخشوع فيها والإنفاق في سبيل الله والابتعاد عمَّا لا فائدة فيه سبب لحفظ الإنسان نفسه وفَرْجَه من الوقع بما حرَّم الله.

(١) مفاتيح الغيب (٦/ ٤٢٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

قال ابن كثير مبيّنًا المعنى لقوله سبحانه:﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴾: أي: يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله فيه (١).

وجاء في التفسير الوسيط: تضمنت هاتان الآيتان الكريمتان صفة رابعة للمؤمنين الذين يفوزون بجنة الفردوس، وهي حفظهم لفروجهم من الزنى، والفَرْج يشمل سوءَة الرجل والمرأة، فالمراد به عضو التناسل من كل منهما، ولفظ ﴿عَلَىٰٓ﴾ في قوله: ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ ﴾ بمعنى: (مِن) كما قاله الفراء وغيره، أي: حافظون لفروجهم إلا من أزواجهم أَو ما ملكت أيمانهم، والأزواج جمع زوج، وهو يطلق على كل من الرجل والمراد المتزوجين، فكلاهما زَاوَجَ الآخر أي: ثاناه، بأن جعله مع نفسه اثنين، والمراد مما ملكت أيمانهم السُّرِّيات وهُنَّ (الإماءُ) المأخوذات في غنائم الحرب، دون المختطفات من أهلهن، فلا يحل بيعهن ولا شراؤهن، ولا الاستمتاع بهن عن طريق ملك اليمين، فهن حرائر مغتصبات فلا سبيل إلى تملكهن، ومن اشتراهن وهو يعلم بحالهن فشراؤه غير صحيح، والاستمتاع بهن زِنى. وقد أَفادت الآية الكريمة أنه لا لوم ولا إثم على المؤمنين في غشيان زوجاتهم وإمائِهم، ولا على المؤمنات في مباشرة أَزواجهن لهن، أما عبيدهن فلا حَقَّ لهم في الاستمتاع بهن بالإجماع، لأَنه مملوك لها وليس مالكًا فهي قوَّامة عليه، بخلاف استمتاع السيد بأمته فإنه مالك لها وقَوَّام عليها(٢).

وقد ذَكَر ابن عادل الحنبلي كلامًا جيدًا حول دلالة هذا الاستثناء في قوله تعالى ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾ [المعارج:٣٠]، فقال : هذه الآية في الرجال خاصة لأن المرأة لا يجوز لها أن تستمتع بفرج مملوكها.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/ ٢٢٧).
(٢) التفسير الوسيط، لمجمع البحوث (٦/ ١٢٦٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

فإن قيل: أليست الزوجة والمملوكة لا تحل له الاستمتاع بها في أحوال كحال الحيض، وحال العدة، والصيام، والإحرام، وفي الأمة حال تزويجها من الغير وحال عدتها، وكذا الغلام داخل في ظاهر قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ ؟ فالجواب من وجهين:

الأول: أن مذهب أبي حنيفة أن الاستثناء من النفي لا يكون إثباتًا، لقوله عليه السلام:{لا صلاة إلا بطهور، ولا نكاح إلا بولي} فإن ذلك لا يقتضي حصول الصلاة بمجرد حصول الطهور، وحصول النكاح بمجرد حصول الولي. وفائدة الاستثناء صرف الحكم لا صرف المحكوم به، فقوله:﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ معناه أنه يجب حفظ الفرج عن الكل إلا في هاتين الصورتين فإني ما ذكرت حكمهما لا بالنفي ولا بالإثبات.

الثاني: أنَّا إنْ سَلَّمْنا أن الاستثناء من النفي إثبات فغايته أنه عام دخله التخصيص بالدليل فيبقى حجة فيما عداه.

وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ يعني: يحفظ فرجه إلا من امرأته وأمته فإنه لا يلام على ذلك إذا كان على وجه أذن الشرع فيه دون الإتيان في غير المأتى، وفي حال الحيض والنفاس فإنه محظور ويلام على فعله. وقوله: ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾ أي: التمس وطلب سوى الأزواج والمملوكات ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ الظالمون المتجاوزون من الحلال إلى الحرام(١).

ثم هنا وقفة مع حكمة عظيمة ذَكَرَها الله في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:٣٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:٣١]، ففي تعقيب حفظ الفروج بعد غضِّ البصر حكمة عظيمة، فإن البصر بوابة الزنا إنْ لمْ يُضْبَط بالضوابط الشرعية.

(١) اللباب في علوم الكتاب (١٤/ ١٧٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

قال القاسمي رحمه الله: سـر تقديم غض الأبصـار على حفظ الفروج، هو أن النظر بريد الزنى ورائد الفجور، كما قال الحماسي: وكنت، إذا أرسلت طرفك رائدًا ... لقلبك يومًا، أتعبتك المناظر

ولأن البلوى فيه أشـد وأكثر. ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه. فبودر إلى منعه. ولأنه يتقدم الفجور في الواقع، فجعل النظم على وفقه (١).

المطلب الخامس: حفظ غَيبة الزوج.

وَرَدَ الأمرُ بحفظ غيبة الزوج في قوله تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾[النساء:٣٤].

والآية الكريمة جاءت في سياق وصف الزوجة المؤمنة الصالحة في حالتي حضور زوجها أو غيابه عنها، ففي حال حضوره تكون قانتة أي: مطيعة لله ثم له، وفي حال غيابه تكون حافظة لنفسها وماله وبيته.

قال الرازي: قوله:﴿قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾فيه وجهان، الأول: ﴿قَٰنِتَٰتٌ ﴾، أي: مطيعات لله، ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾أي: قائمات بحقوق الزوج، وقدم قضـاء حق الله ثم أتبع ذلك بقضـاء حق الزوج. الثاني: أن حال المرأة إما أن يعتبر عند حضـور الزوج أو عند غيبته، أما حالها عند حضور الزوج فقد وصفها الله بأنها قانتة، وأصل القنوت دوام الطاعة، فالمعنى: أنهن قيمات بحقوق أزواجهن، وظاهر هذا إخبار، إلا أن المراد منه الأمر بالطاعة.

(١) محاسن التأويل (٧/ ٣٧١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

واعلم أن المرأة لا تكون صالحة إلا إذا كانت مطيعة لزوجها، لأن الله تعالى قال:﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ ﴾ والألف واللام في الجمع يفيد الاستغراق، فهذا يقتضي أن كل امرأة تكون صالحة، فهي لا بد وأن تكون قانتة مطيعة. قال الواحدي رحمه الله: لفظ القنوت يفيد الطاعة، وهو عام في طاعة الله وطاعة الأزواج، وأما حال المرأة عند غيبة الزوج فقد وصفها الله تعالى بقوله: ﴿ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾ واعلم أن الغيب خلاف الشهادة، والمعنى: كونهن حافظات بمواجب الغيب، وذلك من وجوه: أحدها: أنها تحفظ نفسها عن الزنا لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها، ولئلا يلتحق به الولد المتكون من نطفة غيره، وثانيها: حفظ ماله عن الضياع، وثالثها: حفظ منزله عما لا ينبغي(١).

هذا وقد تنوعت أقوال المفسرين في معنى ﴿ بِمَا ﴾ في قوله سبحانه: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء:٣٤]، على الدلالة التركيبة للجملة لاختلافهم في دلالة (ما) هل تدل على المصدرية أم الموصولية أم أنها نكرة مقصودة؟

فقال السمعاني في تفسيره معناه: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ ﴾ يعني: مطيعات، وَقيل: مصليات، ﴿ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾ أَي: حافظات للفروج فِي غيبَة الْأَزْوَاج،﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ يعني: بِمَا حفظهنُّ اللهُ من إيصاء الأزواج بأداء حقهنّ من المهر والنفقة، وقيل: معناه: حافظات للغيب بحفظ الله (٢).

فالتفسير الأول تكون (ما) موصولة، وبالثاني تكون مصدرية.

---

(١) مفاتيح الغيب (١٠/ ٧١).
(٢) تفسير القرآن، للسمعاني (١/ ٤٢٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

وللسعدي إشارة جميلة في تفسير هذه الآية وذلك في قوله:﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ﴾ أي: مطيعات لأزواجهنّ حتى في الغيب تحفظ بعْلها بنفسها وماله، وذلك بحفظ الله لهنّ وتوفيقه لهنّ، لا مِن أنفسهن، فإن النفس أمارة بالسوء، ولكن من توكل على الله كفاه ما أهمه مِن أمر دِينه ودُنياه (١).

الخاتمة والتوصيات:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أسعد المخلوقات، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا وبعد..

فيطيب لي في نهاية بحثي أن أضع بين يدي القارئ ما أصدر عنه البحث، وكذا التوصيات التي يوصي بها الباحث وذلك في نقاط مختصرة:

١) انتهى البحث إلى أن فكرة المحفوظات في القرآن الكريم فكرة جديدة لم يتطرق إليها أحد من الباحثين –فيما أعلم– لذا يوصي الباحث بعمل موسوعة تجمع هذه المحفوظات في كتاب واحد يستفيض الحديث فيه عنها، مبينًا أهميتها، ودور المسلم تجاهها.

٢) أن الله تعالى ذَكَر في كتابه العزيز أمورًا قد حفِظَها هو سبحانه تكرمًا منه وفضلًا وجودًا أو إقامةً للحجة على العباد، وذَكَرَ أمورًا أخرى وأمَر عباده بحفظِها كي يستقيمَ دِينهم ودُنياهم.

---

(١) تفسير تيسير الكريم الرحمن (ص/١٧٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

٣) لما كانت رسالة القرآن الكريم رسالة خالدة، فكان من الطبيعي أن يكون القرآن الكريم خالدًا، وهذا يحتم علينا –نحن الباحثين في علوم القرآن– أن نبرز مضـــامينه بطرق مبتكرة تتخطى التكرار والرتابة؛ تمشـــيًا مع متطلبات العصـــر. ولعل هذا البحث يأتي في هذا السياق.

.An objective Quranic study on preservation in the holy Quran

Dr. Abdulrahman Yteem Alfadhli

Teacher at department of The Holy Quran & its sciences Faculty of Islamic law & Principles of Religion, Kuwait University

Almighty God revealed upon his prophet Muhammad - peace be upon him - a holy, protected and unchangeable book, and told his slaves in the holy book He created His creatures and preserved them just as He did with the sky, deeds and man.

Almighty God ordered his slaves in His holy book and through His prophet - peace be upon him – to preserve things such asprescribed penalties, prayers, oaths, guard one's modesty and respect the husband during his absence.

All these things come after mentioning the importance of the topic, the reasons for choosing it, its goal, previous studies, and presenting the thesis plan, the scholar's method, as well as explaining the linguistic and terminological meaning of the title, and finally the conclusion including the most important findings

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

المراجع والمصادر:

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢. البحر المحيط، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٣. التحرير والتنوير، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٤. تفسير القرآن العظيم، المؤلف ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ.

٥. تفسير القرآن العظيم، المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ.

٦. تفسير القرآن، المؤلف: منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض– السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

٨. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد الآملي الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٩. الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية ١٣٨٤هـ.

١٠. زاد المسير، المؤلف: عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

١١. صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري، حقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٢. صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٣. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

١٤. لسان العرب، المؤلف: ابن منظور محمد بن مكرم بن على الأنصاري الرويفعى الإفريقى، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة،

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٢٥٩٠- ٢٦٣٠ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

١٤١٤ هـ.

١٥. المجموع اللفيف، المؤلف: أمين الدولة محمد بن محمد بن هبة الله العلوي الحسيني أبو جعفر الأفطسي الطرابلسي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ.

١٦. محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

١٧. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٨. المحرر الوجيز، المؤلف: عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

١٩. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المؤلف: عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ومحيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ.

٢٠. المدخل لدراسة القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبي شُهبة، الناشر: مكتبه السنة، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.

٢١. معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، حقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ.

٢٢. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن عبد الله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية وقدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ.

٢٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٢٤. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، المؤلف: مكي بن أبي طالب القيسي المالكي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م.

٢٥. وثاقة نقل النص القرآني من رسول الله إلي أمته، المؤلف: د. محمد جبل، الناشر: دار الصحابة للتراث، طنطا – مصر.